مجلة المجمع العلمي

مجلة المجمع العلمي

فصلية محكمة أنشئت سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م

الجزء الثالث والرابع ـ المجلد الستون

١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٣م

تاريخ السكان في بغداد الكبرى

دراسة في علم السكان [*] واقع السكان في قرى موضع بغداد الكبرى قبل تأسيسها (قبل ١٤٥هـ ـ ٧٦٢م)

الدكتور عبد علي الخفاف
عميد كلية الآداب / جامعة الكوفة

الملخص :

تشير مصادر تاريخ بغداد إلى أن موضعها قد عرف المستقرات البشرية Human Settlements قبل تأسيسها في عام ١٤٥هـ - ٧٦٢م ، فتشير هذه المصادر الى وجود عدد كبير من القرى الكبيرة ومن القرى الصغيرة ، تؤشر وجودها شبكة الانهار والجداول والترع الواسعة والقناطر المشيدة فوقها التي تسهل حركة السكان وانتقالهم .

في ضوء القرائن ذات الصفة العددية حاولنا ان نتوصل الى تقدير حجم السكان في هذا الموضع فكان تقديرنا هو بحدود ٣٠٠٠٠ نسمة ، يتوزعون من حيث التركيب النوعي Sex- Stracture الى ١٥٤٣٧ نسمة من الذكور والى ١٤٥٦٣ نسمة من الإناث ، وهو واقع يختلف عن الواقع الحالي لخصائص المجتمعات السكانية المعاصرة ، فهي مجتمعات ، غالبيتها ، تتصف بتفوق أعداد الإناث على إعداد الذكور .

---

[*] الموضع site : هو الحيز المكاني الذي شيدت عليه المدينة

- Smailes , Arthur , E. (1968) The Geography of Towns-5th Edition- Hutchinco University Library. London. P.lo.

تختلف أعداد الذكور وأعداد الإناث في الفئات العمرية الخمسية التي رسمنا بموجبها هرم السكان في تفصيلات يشير اليها البحث .

كان هذا المجتمع شبه متوقف عن التغير باتجاه النمو ، وذلك بفعل ارتفاع المعدل السنوي للولادات وللوفيات معا ، فتم تقديرنا للمعدل السنوي للنمو الطبيعي للنمو ٠,١٧٪ أي اقل من ١٪ وهو معدل يؤشر حالة النمو السكاني البطيء جدا ، وعلى أساس تنظيرات علم السكان التاريخي Historic Demography فإننا قدرنا متوسط العمر في هذا المجتمع بحدود (٣٠- ٤٠) عاما .

(١) الهـــدف :

يهدف البحث الى دراسة واقع السكان لمجتمع الريف في مجموعات القرى التي كانت منتشرة على موضع مدينة بغداد قبل تأسيسها في عام ١٤٥هـ - ٧٦٢م والبحث جزء من دراسة تفصيلية تحاول ان تحدد ملامح التاريخ الاحصائي لمجتمع السكان في هذه المدينة التي تجاوز عمرها ١٠٠٠ عاما وتعد من مدن العالم المعمرة ، والتي أسهمت بإنتاج الجزء الكبير والمهم من الثقافة العربية الإسلامية .

(٢) المبررات :

لقد تناول الباحثون من مختلف حقولهم العلمية ، المؤرخون والجغرافيون والمتخصصون بعلم الاجتماع والاقتصاد وغيرهم من المتخصصين في هوامش هذه العلوم ومساحاتها البينية ، هذه المدينة بعدد كبير من الدراسات والبحوث وفي مختلف العصور التي مرت بها . يأتي هذا الاهتمام الواسع بها بفعل دورها التاريخي في أمة العرب وفي أمة المسلمين على مدى عمرها الطويل ، فهي من مدن العالم التاريخية المعمرة كما اشرنا إلى ذلك .

المقدمـــة :

صحيح أن بعض من هذه الدراسات والبحوث تطرقت إلى واقع السكان للمدينة وقراها ، فوردت فيها بعض التقديرات والتخمينات لأعداد السكان ، وتوصيف لمجتمعها السكاني ، من حيث التوزيع النوعي الى ذكور وإناث ، ومن حيث التوزيع العمري الى أطفال وشباب وكهول ، في إشارات متناثرة إلا أن ذلك لا يحقق تعريفا منهجيا بتاريخ التواجد البشري وما طرأ عليه من تغيرات ذات صفة إحصائية .

لقد تحقق الكثير من تاريخها السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي ، في دراسات معمقة وموسعه تستند إلى منهجية علمية ، في حين بقي تاريخها المتعلق بإحصاء السكان من دون توجه شامل ،من ذلك نرى ان هذا البحث ، جزء من دراسة موسعة ، سيكون محاولة لسد هذا الفراغ في المكتبة العلمية التي تناولت ماضي مدينة بغداد وحاضرها .

(٣) الأسلوب والمنهج :

إستند البحث إلى منهج علم السكان التاريخي والمعروف بمتابعته الزمنية لواقع السكان ، واعتماد الوصف الإحصائي للرقم ومتوسطاته ومعدلاته وأجزائه ومضاعفاته الذي تم تقديره على أساس بعض القرائن ذات الصفة العددية.

(٤) البيانات المتعلقة بالسكان :

تستند الدراسات والبحوث في علم السكان أساسا إلى البيانات الرقمية Data ، وهي بيانات يمكن الوصول إليها عبر تعدادات السكان

Census[*] وتعداد السكان أسلوب عمل إحصائي حديث مارسه الإنسان منذ مطلع القرن الثامن عشر[**] وهذه الحقيقة لا تعني عدم ممارسة الإنسان للإحصاء في الماضي فتشير المصادر التاريخية الى ان محاوله

---

[*] تعداد السكان وقد يطلق عليه احصاء السكان : هو صناعة تجميع المعلومات العددية او البيانات العددية عن السكان .

عن : الامم المتحدة / اللجنة الاقتصادية لغربي أسيا – والاتحاد الدولي للدراسات العلمية للسكان – بلا تاريخ – المعجم الديموغرافي متعدد اللغات / السفر العربي / الطبعة الثانية – بغداد – ص ٣٠.

ولا زال تحديد مفهوم تعداد السكان الذي وضعه Peterson تحديدا دقيقا وهو : العملية التي يحصل بمقتضاها حصر الموارد البشرية بما يفيد في تحقيق التخطيط للمستقبل .

عن : Peterson W . (1969) Popultion – 2nd Edition The Macmillan Co – London . p39.

[**] عن بدء إجراء التعدادات الحديثة للسكان نشير الى :

- السويد – ١٧٤٨ .
- النرويج – ١٧٦٠.
- اسبانيا – ١٧٨٧.
- الولايات المتحدة الامريكية – ١٧٩٠ .
- بريطانيا وفرنسا – ١٨٠١ .

عن :

Clarke , J.I.(1969) Population Geography – Pergammon – U.K.p. 36.

ويشار الى ان مصر قد اجرت اول تعداد لسكانها في١٨٨٢ .

عن : الصياد ، محمد محمود (١٩٥١) سكان مديرية البحيرة / مجلة كلية الاداب / جامعة القاهرة – المجلد ١٣– العدد ١– ص ٨٨ .

معرفة عدد السكان كانت من بين أولى العمليات الإحصائية التي مورست في الدول القديمة لأغراض متنوعة لربما كانت الأغراض العسكرية وجباية الضرائب ومعرفة أعداد الشباب القادرين على العمل في مقدمتها[1] . تشير هذه المصادر الى إحصاءات نفذت قديما في الصين عام ٢٢٣٨ ق.م. وفي اليابان وفي روما في القرنين الثامن والرابع ق.م.[2] وهي إحصاءات من دون شك لم تعرف أسلوب العمل الإحصائي .

لقد نقلت إلينا مصادر التاريخ العربي والإسلامي معلومات كثيرة عن إعداد السكان في بعض البلدان الإسلامية ولاسيما العراق والشام ومصر بصفتها بلدانا واسعة وقريبة من مركز الدولة الإسلامية ، ومما يذكر بهذا الصدد تقديرات " ابن رفاعه " وهي تقديرات ينقدها بعض الباحثين باعتبارأنها مبالغ فيها لانها حسبت على اساس الخراج والخلط بين الجزية التي يدفعها الرجل البالغ من غير المسلمين وبين خراج الارض .[3]

أن تقديرات أعداد السكان التي تشير إليها مصادر ومراجع التاريخ الإسلامي في بعض البلدان الإسلامية هي تقديرات حسبت على أساس إعداد الجوامع و السكك والدروب فالتعداد الفعلي للسكان آلية إحصائية عرفها ومارسها الإنسان في تاريخيه الحديث كما اشرنا الى ذلك .

في هذا البحث حاولنا الاستفادة من بعض المؤشرات المتعلقة بحجوم القرى ومن الخرائط التاريخية التي رسمت لموضع بغداد ولمدينة بغداد المدورة ذاتها مما أشارت إليها مصادر تاريخ بغداد ومنها :

---

[1] الخفاف ، عبد علي (٢٠٠٧) جغرافية السكان / أسس عامة / الطبعة الثانية / دار الفكر للطباعة والنشر / عمان / الأردن / ص ٦٥.

[2] المصدر نفسه – ص٦٥

[3] المصدر نفسه – ص٦٨

- البلدان لليعقوبي .
- تاريخ الرسل والملوك للطبري .
- رحلة ابن جبير .

ومن المراجع الحديثة :

- دليل خارطة بغداد لمصطفى جواد واحمد سوسة .
- عمران بغداد لمحمد صادق الحسيني .
- أوراق ندوة بغداد التي تم عقدها في كلية التربية الأولى – جامعة بغداد (٥-٧) مايس ١٩٩٠ والتي صدرت في كتاب تحت عنوان / بغداد في التاريخ / عن دار الحكمة للطباعة والنشر في بغداد في عام ١٩٩١ .

(٥) القرى في موضع بغداد :

الموضع site والموقع situation من المصطلحات العلمية في الدراسات الحضرية ، يشير الأول إلى الحيز المكاني الذي تم تشييد المدينة عليه ، كما تمت الاشاره إليه ، ولخصائصه الطبيعية اثر مهم في تحديد شكل المدينة وفي تركيبها الداخلي وتركيبها الوظيفي وفي مستقبلها[٤] .

---

(٤) Smailes – Op- Cit. p.10.

وللتفصيل ينظر إلى :

الخفاف ، عبد علي (١٩٨٢) خصائص جغرافية عامة في موقع وموضع مدينة السليمانية الكبرى / مجلة كلية التربية / جامعة البصرة / السنة ٤- العدد ٧ – ص٢١٧

الخفاف ، عبد علي وآخرون(٢٠٠٠) المبادئ العامة لجغرافية المدن – دار الكندي- اربد / الأردن / ص٢٠

أما موقع المدينة فهو موضع المدينة في علاقاته المكانية التي تتجاوزه ، وقد تتجاوزه بعيدا ، وللموقع تأثيراته في نمو المدينة وفي تطورها الاقتصادي والاجتماعي ، اللذان يعكسان تأثيرهما في تطورها العمراني[٥] فموقع مدينة بغداد وما يتسبب عنه من علاقاتها المكانية داخل العراق وعلاقاتها الإقليمية والدولية خارج العراق هو غير الموضع الذي يمثل حيز بنائها .

يمتد موضع بغداد المدورة او بغداد المنصور على مجموعة انهار بغداد الغربية (بغداد /الكرخ) كما تبدو من الخريطة التي رسمها المستشرق " كي لسترانج " و الخريطة – التي رسمها المستشرق "ماكسيميليان ستيك" لبغداد في أول أدوارها العباسية في كتابه " بلاد بابل القديمة " أنها تمتد ما بين نهر دجلة شرقا ونهر عيسى ، المتفرع عن نهر الفرات ، غربا ونهر دجلة جنوبا وخندق طاهر ، الذي يمتد ما بين دجلة عند الفرضة العليا ونهر الصراة شمالا [٦] .

يشغل هذا الموضع مساحة ٥٠كم مربع حسبما تم حسابنا له على أساس مقياس الرسم لخريطة " كي لسترانج "[٥] إنه موضع منبسط السطح تغطية شبكة من الأنهار والجداول والترع المتفرعة عن الفرات ودجلة ، وقد بنيت فوقها العشرات من القناطر ، كما اشرنا الى ذلك .

---

[٥] الخفاف (٢٠٠٠) المصدر نفسه – ص٢٠٠.

[٦] جواد ، مصطفى وسوسه ، احمد (١٩٥٨) دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديما وحديثا – مطبعه المجمع العلمي العراقي – ص ٧٠– ص٧٢.

[٥] يمكن مراجعة الخريطة في المصدر أعلاه وملاحظة – مقياس الرسم .

يبدو ان الخصائص الطبيعية لهذا الموضع شكلت بيئة جغرافية جاذبة للسكان ومشجعة على استقرارهم فيها فأحوال المناخ وأنبساط السطح ووجود التربة الغرينية ووفرة المياه في دجلة والفرات ورواضعهما " الروافد والفروع " جميعها كانت عوامل مشجعه على الاستقرار البشري وبشكل خاص الاستقرار الريفي ، فقد وفرت هذه البيئة المقومات اللازمة للعمل الزراعي ، حيث كان هذا العمل هو السائد وهو الأساس للاقتصاد حينذاك .

لم تؤشر الدراسات الجغرافية أية تغيرات كبيرة ومهمة قد حصلت في موضع بغداد ، منذ الزمن الذي عرف به ، فهو جزء من السهل الرسوبي يطلق عليه سهول الانهار[٥] يتسم بقلة الانحدار فبغداد التي تبعد عن ساحل الخليج العربي الذي لا يرتفع عن مستوى سطح البحر سوى بضعة سنتمرات ، بحدود ٥٥٠كم لا يزيد ارتفاع السطح عندها على ٣٢ مترا عن مستوى سطح البحر[٧] .

---

[٥] أطلق عليه هذه التسمية الدكتور جاسم محمد خلف في كتابه محاضرات في جغرافية العراق الطبيعية والبشرية والاقتصادية (١٩٦١) / معهد الدراسات العربية العالية – ص٤٥ وأطلق عليه الدكتور الطائي منطقة السهول المنبسطة الطائي ، محمد حامد (١٩٦٩) تحديد اقسام سطح العراق – مجلة الجمعية الجغرافية العراقية – المجلد الخامس – ص٢٣ .

[٧] تمتد منطقة السهل الرسوبي على طول ٦٤٠كم وعرض يتراوح ما بين (٣٠-٣٠٠) كم من شمال بغداد بحوالي ١٠٠كم وحتى ساحل الخليج ، وهي في هذا الجزء ينحدر السطح فيه انحدارا بطيئا جدا (١/١٧٥٠٠) سم .
عن : الطائي ، محمد حامد (١٩٦٩) المصدر السابق – ص٢٣ .

تنتشر التربة هنا وهي من الصنف الذي أطلق عليه خبير التربة الهولندي " بيورنك – Buringh " تربة السهل الفيضي الرسوبية المالحة[٨] وهي بشكل عام تربة عميقة عبارة عن مزيج من المواد الصلصاليه والرملية والجيرية وخالية من الحجارة والحصى [٩] .

وبصدد المناخ فان ذروة الحرارة كانت كما هي اليوم ، في شهري تموز وآب حيث ترتفع درجة الحرارة مابين (٤٨-٥٠) درجة مئوية[**] ويبدو ان الوصف الذي يرد في حال الناس في الشهرين المذكورين في المصادر التاريخية يؤشر هذا الارتفاع الكبير [١٠] وقد استمر .

كما كان عليه في الماضي فالشتاء والربيع هما فصلا المطر ، والصيف الطويل هو فصل الجفاف ، أما الخريف فيشهد الأمطار عادة إذا ما كان سقوطها مبكرا . سجلت محطة الأنواء الجوية ، في خمسينيات القرن الماضي ، ذروة تصل الى ٦٠ملمترا ، وهذه هي الذروة الاعتيادية التي تم تسجيلها لعدة سنوات[١١] . ويبدو انها ذروه تتكرر سنويا ، قبل

---

(٨) Buringh ,p.(1960) Soil and Soil Conditions in Iraq (Ministry of Agriculture) Baghdad p.33

(٩) Ibid

(**) ينظر الى

Meteorological Service (1945) Climatological Atlas of Iraq (8) p.36-40

(١٠) الحكيم ، حسن عيسى (٢٠٠٤) أنواء بغداد وأحوالها الطبيعية في العصر العباسي – الموسوعة الثقافية – (١٥) دار الشؤون الثقافية – وزارة الثقافة .

(١١) Meteorological Service (1940) Rain Fall in Iraq (1936-1939) Occasional Publication .(3) . p.p.3-10

عقود الجفاف الاخيرة ، اذ ثمة سنوات تتعرض فيها المدينة للظواهر الجوية الشاذة .

ولا شك في ان تصريف كل من دجلة والفرات كان عاليا فلم تكن حينذاك ثمة مؤثرات بشرية على التصريف بل كان يتم بشكل طبيعي يعكس عمل قوانين الطبيعة ، فلا سدود ولا خزانات إننا نتوقع تصريف النهرين بمستوى ما سجلته الأجهزة في سنوات الأربعينيات والخمسينيات حيث لم يتم بناء السدود والخزانات في تركيا وسورية والعراق بعد . لقد بلغ تصريف النهرين شهور الفيضان العالي بحدود ٥٠٠٠ متر مكعب في الثانية[١٢] وهذا يعني توفر ثروة مائية جيدة تغطي حاجات المحاصيل الزراعية ، لاسيما المحاصيل الصيفية التي تعتمد على الري .

على الرغم من سيادة الخصائص الطبيعية الايجابية في هذا الموضع فهو يتعرض وتعرض فعليا إلى وقوع الحوادث الطبيعية ، وعلى وجه الخصوص المناخية ، السلبية من حين إلى آخر مثل الجفاف وهطول الأمطار الغزيرة والعواصف الشديدة المدمرة الى جانب الفيضانات والحرائق .[١٣]

أن هذا الموضع هو جزء من ارض السواد (السهل الرسوبي) ذات الكثافة العالية بالمستقرات البشرية ، ذو كثافة بشرية عالية ينتشر عليه عدد كبير من القرى والضياع ، فقد وصف في المصادر التاريخية بكونه مزدهرا ببساتينه العامرة ومزارعه الواسعة وقراه الزاهية وريه المنظم ،

---

[١٢] الخلف ، جاسم محمد (١٩٦١) مصدر سابق – ص٦٦.

[١٣] الحكيم ، حسن عيسى (٢٠٠٤) المصدر السابق – عدة صفحات .

ويبدو ان ارتفاع الكثافة البشرية قد تسبب بالضرورة في ظهور أكثر من مستقره حضرية فيه .

كانت اكبر هذه القرى وأشهرها هي قرية ، المباركة أو مزرعة المباركة " ويشار إلى أنها كانت تعود إلى ٦٠ شخصا من البغداديين ، عوضهم عنها أبو جعفر المنصور بعد أن قرر بناء بغداد على موضعها ، وقرية " الخطابية " ودير بستان القس " وقرية الشرفانية " ودير بارفيثون " و دير عمر صيليبا " وقرية براثا " وقرية سال و قرية ورثالا وقرية بانورا وقرية قطفتا وقرية الوردانية [١٤] .

ان ارتفاع الكثافة البشرية الناتج عن العدد الكبير للقرى تسبب بالضرورة الى ظهور بعض المستقرات الحضرية فهذه المستقرات هي بمثابة مراكز بيع السلع والخدمات لسكان القرى ، فكانت " سوق بغداد " الواقع إلى الجنوب من نهر الصراة يجتمع عندها التجار من مختلف الأمم في رأس كل سنة ، ويلتقي عندها التجار المحليون مطلع كل شهر أنها بمثابة سوق تجارية عالمية . وعند الهامش لهذا الموضع بنيت " المدائن " وقد أطلق عليها هذا الاسم نظرا لكثرة ما بني فيها حتى أمست مجموعه من المدن متصلا بعضها ببعض[١٥].

(١٥)-١- حجم السكان والكثافة البشرية العامة :

نرى أن القرى التي تمت الإشارة إليها وغيرها من القرى ، هي القرى الكبيرة بحجومها السكانية من ذلك تناقلت المصادر التاريخية

---

[١٤] جواد ، مصطفى وسوسة احمد (١٩٥٨) مصدر سابق – ص ٢١ .

[١٥] المصدر نفسه – ص٢١

أسماءها ولاشك في أن عشرات القرى الصغيرة الأخرى كانت تنتشر بينها وفي ما حولها ، تؤشر وجودها شبكة الأنهار والجداول والترع وعشرات القناطر المبنية فوقها كما تمت الإشارة إلى ذلك .

يقرب لنا الوصف التاريخي الذي تشير إليه جملة مصادر تاريخ بغداد لموضع بغداد وموقعها ، إمكانية التخمين لعدد القرى ، فإننا نرى أن متوسط عدد القرى في الكيلو متر المربع الواحد هو (٤) قرى ، وهذا يعني أن إجمالي عددها هو (٢٠٠) قرية باعتبار ان مساحة الموضع هي ٥٠ كيلو متر مربع كما ذكرنا .

ونرى انه ليس من المبالغة ان نقدر عدد القرى الكبيرة ، تلك القرى التي يصل متوسط عدد البيوت فيها ٣٠ بيتا بربع عدد القرى أي ٥٠ قرية وهذا يعني أن القرى الكبيرة تضم ١٥٠٠ بيتا وإذا ما افترضنا أن حجم الأسرة السائد حينذاك ، وهي الاسرة الممتدة التي تضم اكثر من جيل ، هو ١٠ نسمة فان هذا الافتراض المقبول يوصلنا الى تقدير حجم السكان في هذه القرى الكبيرة هو ١٥٠٠٠ نسمة .

واذا ما اعتبرنا القرى المتبقية وهي ١٥٠ قرية من القرى الصغيرة التي تضم الواحدة منها ١٠بيوت فقط بمتوسط لحجم الأسرة هو ١٠ نسمة ، فان هذا الافتراض يسمح لنا أن نضيف ١٥٠٠٠ نسمة آخرين ، وبذلك يكون اجمالي السكان ٣٠٠٠٠نسمة في موضع بغداد قبل تأسيسها مستقره حضرية .

لاشك في ان هذا العدد يمثل حجما سكانيا كبيرا ويجعل الموضع بكثافة بشرية مرتفعة تصل الى ٦٠٠ نسمة / كم ٢ ويستند توصيفنا له بانه

ذو كثافة مرتفعه الى المعايير التي يعتمدها علماء السكان " الديموغرافيون " والجغرافيون في تقسيم العالم الى مناطق او اقاليم سكانية فالمنطقة ذات الكثافة المرتفعة او العالية هي التي تتجاوز الكثافة فيها ١٠٠ نسمة / كم٢ [١٦]

(٥) -٢- تركيب السكان (هرم السكان) :

يقصد بتركيب السكان Stracture of Population توزيعهم حسب النوع الى ذكور وإناث ، وتوزيعهم حسب العمر الى فئات عمرية ، عادة خمسية ، وبفعل كون هذا المجتمع ذا طبيعة ريفية ومستقر لا يتعرض الى حركة واسعة وسريعه للهجره منه واليه ، فأننا نتوقع ان يكون تركيبه النوعي هو تركيب المجتمعات المستقره التي لا تقع تحت تاثير المتغيرات المؤثرة في التركيب وهي الهجره والحروب .

اننا نتوقع ان النسبة الجنسية او النوعية Sex-Ratio التي كانت سائدة فيه هي النسبة الطبيعية ، البعيدة عن المتغيرات المذكورة ، وهي ١٠٦ ذكرا لكل ١٠٠ انثى ، واذا ما اعتمدنا هذه النسبة فإنها تساعدنا على تقدير توزيع هذا المجتمع بواقع ١٥٤٣٧ نسمه من الذكور وبواقع ١٤٥٦٣ نسمة من الاناث ، أي ان واقع التوزيع النسبي المئوي هو ٥١٪ للذكور و ٤٩٪ للاناث .

والحقيقة ان حدود النسبة المئوية هذه هي الحدود الاعتيادية على صعيد العالم او على صعيد القارات والبلدان ، فالحالة المثالية هي ٥٠٪ لكل نوع او تزيد او تقل لا حدهما بواقع ٥١٪ - ٥٢٪ ٥٣٪ .... ٥٥٪ .

---

[١٦] الخفاف ، عبد علي (٢٠٠٧) مصدر سابق – ص ٩٨ .

اما اذا تخطت النسبة هذه الحدود فلا بد من وقوع المجتمع تحت تاثير الهجرة الواسعة او الحروب .

جاء تفوق النسبة المئوية لمتوسط الذكور مخالفا لتنظيرات علم السكان ، التي تستند إلى المسموح الميدانية للمجتمعات في العالم ، والتي تؤشر واقع تفوق النسبة المئوية للإناث في غالبية المجتمعات في الوقت الحاضر ، وذلك بفعل ما يعانيه الذكور من تحمل مسؤوليات الحياة في غالبية الاسر في العالم .

أن تفسير تفوق نسبة الذكور في مجتمع الدراسة ، يعود إلى طبيعة المجتمع العراقي ، والمجتمع العربي بشكل عام ، فهو مجتمع ذكوري[١٧] فقد كانت وما زالت المرأة فيه ، في سلوكها العام والسائد ، تستجيب الى قرارات الرجل داخل الأسرة وفي المجتمع ، ويعكس هذا السلوك الاجتماعي عادة آثاره في واقع السكان، حيث العناية بالأطفال الذكور اكثر من العناية بالأطفال الإناث ، ويستمر هذا التمييز عادة طوال العمر من ذلك نتوقع ارتفاع المعدلات السنوية للوفيات لبقية مراحل الاعمار الشباب والكهولة والشيخوخة .

ما زالت المرأة الريفية في العراق وفي عموم العالم العربي ، تتعرض الى الكثير من اسباب الوفاة وللاسباب التي تقود الى صغر امد الحياة ، متوسط العمر ، مثل متاعب الحمل والولادة والعمل البيتي والعمل الزراعي في الحقل وتربية الحيوان .

---

[١٧] الوردي ، علي (٢٠٠٩) دراسة في طبيعة المجتمع العراقي – الطبعة الأولى – دار ومكتبة دجلة والفرات – بيروت – ص٢٣٣– ص ٢٣٦.

بشكل عام فأننا نحدد خصائص هرم السكان لهذا المجتمع بالآتي :

١- من حيث التركيب النوعي :

تتفوق أعداد الذكور على أعداد الإناث ولعل هذه سمة من السمات التي ميزها علم السكان في المجتمعات الريفية لاسيما في العصور التاريخية ، فالماضي ليس كما هو الحاضر حيث يتعرض الذكور في هذا العصر الى جملة من المتاعب وممارسة الاعمال الصناعية الثقيلة .

٢- من حيث التركيب العمري :

انه مجتمع فتي يشكل فيه كبار السن ممن تتجاوز أعمارهم ٦٠ عاما نحو ١٪ وذلك بفعل صغر متوسط امد الحياة ، متوسط العمر ، الذي نقدره ما بين (٣٠-٤٠) عاما ، وهو المتوسط الذي تحدده الدراسات في علم السكان للإنسان في العالم قبل القرن التاسع عشر[١٨].

كما تقل فيه نسبة الاطفال الرضع دون السنتين من العمر ، والأطفال عموما دون الخامسة من العمر ، وذلك بفعل ارتفاع المعدلات السنوية للوفيات بينهم . ونتوقع ان أعداد الإناث في الفئات العمرية (١٥-٤٥) اقلِ من اعداد الذكور ، وهذا الحال هو ما تتوقعه دراسات علم السكان في المجتمعات التي يسود فيها الزواج المبكر فتعد الفتاة بعد عامها الثاني عشر مشروعا للزواج ، فترتفع بين الاناث المتزوجات المعدلات السنوية للوفاة بسبب الحمل والولادة ويطلق عليها وفيات ما حول الولادة .

---

(١٨) Trewartha . Glenn, T.(1969) A geography of population : World Patterns – John Wiley and , Inc .N.Y.p.169

وأخيرا فإننا نتوقع تفوق اعداد الذكور على أعداد الإناث في الاعمار المتقدمة بعد الخمسين وهذا التوقع يتقاطع مع مانشير اليه دراسات علم السكان من تفوق اعداد الاناث على اعداد الذكور في هذه الأعمار في الوقت الحاضر .

وتفسير ذلك يعود الى توجه المراة للعمل في الحقل وتربية الحيوان منذ نعومة أظافرها فهي يد عاملة أكثر من كونها واحدة من افراد الاسرة !! فغالبا ما يعتمد الرجل على اعمال النساء طلبا للراحة (*).

انه مجتمع ترتفع فيه المعدلات السنوية للوفيات بين كبار السن وصغار السن ، فالفئة الاولى تشكل نسبة ١٪ كما اشرنا الى ذلك ، والفئة الثانية تشكل ٢٥ز٢٦٪ وذلك بفعل ضعف المقاومة الجسدية لاسباب الوفيات .

(*) اننا نعتقد ان ما وصفت به المرأة في البحوث والدراسات الاجتماعية ، تلك التي تناولت المرأة العراقية و المرأة العربية بشكل عام ، بانها تابعة للرجل بصفة مطلقة نتيجة للسلوك الذكوري وهو امتداد لسلوك سابق اعتاد ان يمارسة الرجل لاسيما الرجل الريفي ، فالمراة كانت ولعلها ما زالت في أكثر أنحاء الريف العراقي وخصوصا في مناطق الاهوار كانت كأنها من قبيل الحيوان او الرقيق تستغل اقتصاديا وتعرض للبيع والشراء باسم الزواج ويرسلها الرجل الى الاسواق تحمل بعض المنتجات من الألبان او المنتجات الحقلية لبيعها ... وهو ينتظرها اخر النهار لكي تاتي له بشيء من النقود او الحاجات التي أوصاها بشرائها ، ان النظره التي ينظر بها الرجل للمرأة يدا عاملة جعلتها مرهقة جدا فهي تعمل تحت ظروف قاسية لا يحتملها الرجل نفسه ..

ينظر : الوردي – مصدر سابق – ص ٢٣

جـــدول

توزيع السكان حسب الفئات العمرية الخمسية
(مجتمع القرى في موضع بغداد قبل تاسيسها)

الفئة العمرية	الذكور	الاناث	المجموع
٠-٤	٣٧٧	٢٥٠	٦٢٧
٥-٩	١٣٠٠	١٥٦٣	٢٨٦٣
١٠-١٤	٢٠٠٠	٢٥٠٠	٤٥٠٠
١٥-١٩	٢٦٠٠	١٨٠٠	٤٤٠٠
٢٠-٢٤	٣٠٠٠	٢٠٨٠	٥٠٨٠
٢٥-٢٩	٢٠٠٠	١٩٠٠	٣٩٠٠
٣٠-٣٤	١٥٠٠	١٨٠٠	٣٣٠٠
٣٥-٣٩	١٠٠٠	١٢٠٠	٢٢٠٠
٤٠-٤٤	٨٠٠	٨٠٠	١٦٠٠
٤٥-٤٩	٤٠٠	٣٠٠	٧٠٠
٥٠-٥٤	٢٠٠	١٢٠	٣٢٠
٥٥-٥٩	١٥٠	١٣٠	٢٨٠
٦٠ فاكثر	١٥٠	١٢٠	٢٧٠
المجموع	١٥٤٣٧	١٤٥٦٣	٣٠٠٠٠

- تقديرات الباحث .

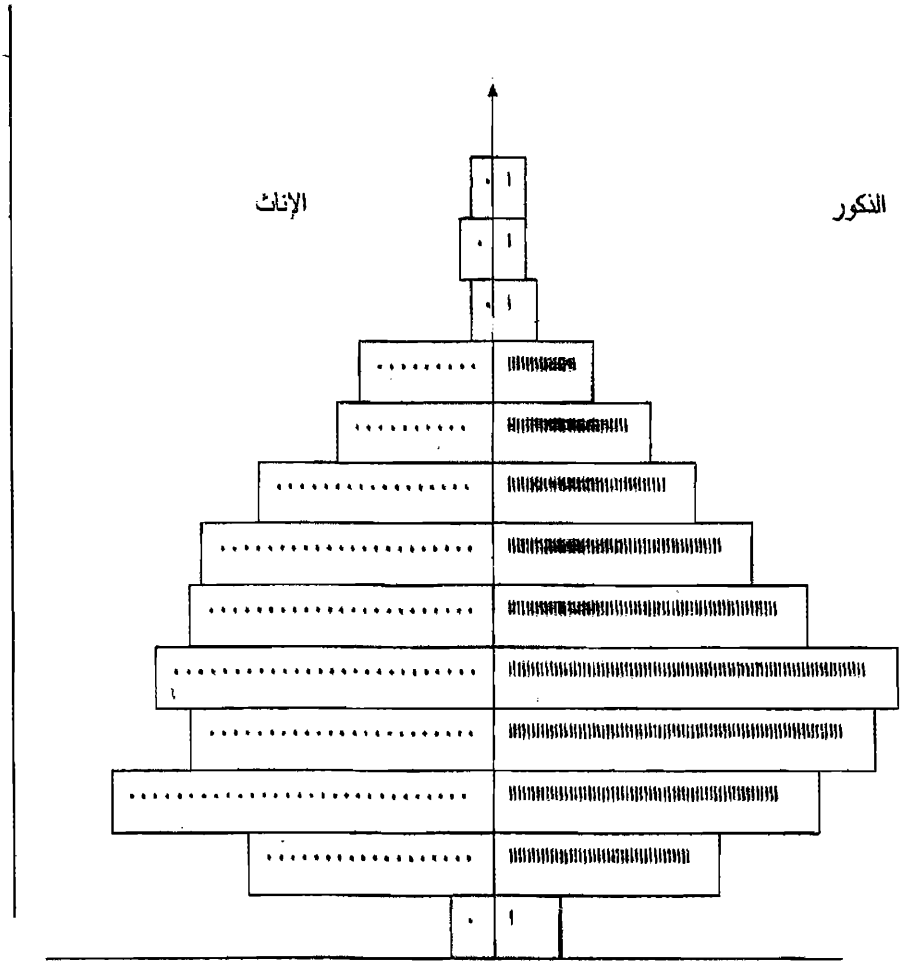

هرم السكان :

مجتمع القرى في موضع بغداد قبل تأسيسها في عام ١٤٥هـ ـ ٧٦٢م

ـ استنادا إلى الجدول السابق

(٥)-٣- نمو السكان :

هو حالة التغيير التي تحصل في حجم السكان أي عدد السكان ، وقد يحصل هذا التغيير باتجاه الزيادة وقد يحصل باتجاه التناقص ، وفي الحالتين يطلق عليه نمو السكان[١٩] والعامل الذي يسبب الزيادة هي الولادات في حين أن العامل الذي يسبب التناقص هو الوفيات ، وعندما تقتصر اسباب النمو على الولادات والوفيات يطلق على هذا النمو بالنمو الطبيعي او الزيادة الطبيعية .

نحن نرى ان المجتمع قيد الدراسة هو مجتمع ريفي يستند نمو السكان فيه اساسا الى الزيادة الطبيعية فالهجرة منه واليه محدودة جدا باعتباره مجتمعا ريفيا .

ولأجل حساب المعدل السنوي لنمو السكان في هذا المجتمع نضطر الى ان نستعين بتنظيرات علم السكان في تقدير المعدل السنوي للولادات والمعدل السنوي للوفيات . فيما يخص معدل الولادات لابد من حساب عدد الإناث اللائي في سن الإنجاب (١٥-٤٥) عاما من العمر ، على إن الإنجاب الفعلي قد يكون قبل العمر ١٥عاما كما قد يحصل الزواج قبل هذا العمر أيضا ، إننا سوف نعتمد الخطوات الآتية :-

- إجمالي عدد الإناث هو ١٤٥٦٣ نسمة كما تمت الإشارة إلى ذلك .
- يمكن ان نطرح من هذا الإجمالي ربعه باعتبار ان صغار السن دون ١٥ عاما ، يشكلون ربع المجتمع فيكون العدد المتبقي هو ١٠٩٢٤ نسمة .

---

[١٩] الأمم المتحدة – مصدر سابق – ١٣٢ .

- نطرح من هذا العدد المتبقي ٥٥٠ نسمة وهو عدد الإناث في اربع فئات عمرية هي :

الفئة ٤٥-٤٩عاما – ٣٠٠نسمة

الفئة ٥٠-٥٤ عاما – ١٢٠نسمة

الفئة ٥٥-٥٩ عاما – ١٣٠ نسمة

وأخيرا الفئة ٦٠ عاما فأكثر – ١٢٠نسمة باعتبار ان نسبة كبار السن الذي تجاوزوا العمر بحدود ٦٠ عاماً هي بحدود ١٪

- قسمنا العدد المتبقي وهو ١٠٢٥٤ نسمة على ٤/٣

باعتبار هذه هي نسبة المتزوجات ، والناتج هو ٧٦٩٠ يمثل متوسط عدد الولادات في كل عام بافتراض انجاب كل امراة طفل واحد في العام.

- عند اعتماد معادلة حساب المعدل السنوي للولادات

عدد الولادات

وهي : ـــــــــــــــــــــــ × ١٠٠

عدد السكان

٧٦٩٠

فان الناتج هو : ـــــــــ × ١٠٠٠ = ٢٥٦ ولادة لكل ١٠٠٠ نسمة

٣٠٠٠٠

ولأجل حساب المعدل السنوي للوفيات فان نظرية الدورة السكانية Demographic Cycle تقول ان مرحلة الحراك السكاني الاولى التي يمر بها المجتمع هي مرحلة النمو المتوقف او النمو السلبي ، وهي مرحلة

تقترن بالاقتصادات المعيشية[*] وتوصف في الوقت الراهن بالهبوط الشديد لمستوى الخدمات الصحية والبلدية ، وهي تتصف بارتفاع معدل الولادات وارتفاع معدل الوفيات ايضا لاسيما وفيات الاطفال ، ممن هم دون (٥ اعوام) ، ووفيات الاطفال الرضع ممن هم دون العام الاول[٢٠].

اننا لا نتردد من ان نصف المجتمع قيد الدراسة كونه كان يمر في مرحلة نمو السكان البطيء او النمو السلبي عند ذاك نستطيع ان نضع تقديرا للمعدل السنوي للوفيات يقترب من معدل الولادات ، وبذلك يكون المعدل السنوي للنمو لايسمح بالنمو السريع ، وبموجب هذا التوصيف فاننا نقدر معدل الوفيات ٢٠٠ بالألف أي ٢٠٠ وفاه لكل ١٠٠٠ نسمة من السكان و باستخدام معادلة النمو الطبيعي للسكان وهي وفق الصيغة :

$$\frac{\text{عدد الولادات} - \text{عدد الوفيات}}{\text{عدد السكان}} \times ١٠٠$$

$$\frac{٢٥٦ - ٢٠٠}{٣٠٠٠} \times ١٠٠ = ٢ر٠ \% \text{ بالتقريب}$$

---

[*] الاقتصاد المعيشي هو نمط الاقتصاد الذي يعتمد فيه السكان على ما تتيح لهم الظروف الطبيعية فهو احد انماط الاقتصاد الطبيعي بعيدا عن اسواق التجارة واقتصاد المال .

- الخفاف ، عبد علي ورخصانه محمد اسماعيل وتماني علي سيف (٢٠٠٣) - مكانة المرأة في الاقتصادات المعيشية / سقطرى حالة دراسية / جامعة عدن / اليمن .

[٢٠] الامم المتحدة - مصدر سابق - ص ١٣٨.

ومع تقديراتنا لاعداد الولادات السنوية واعداد الوفيات فان المعدل السنوي للنمو الطبيعي للسكان في هذا المجتمع هو بالتقريب ٢و٠ ٪ أي اقل من ١٪ (*)

بهذا المعدل المنخفض يحصل التغير الطفيف فيوصف المجتمع على وفق منظور علم السكان كأنه في حالة ثبات تقريبا ، فلو مر عليه ١٠ أعوام فأن حجم السكان سوف يزداد من ٣٠٠٠٠ نسمة الى ٣٠٦٠٩ نسمة (**) .

(*)اعتمدنا في تحديد مراحل الدورة السكانية في العالم العربي ، كما تم نشرها في مؤلفاتنا ، على الخلفية والحيثيات التاريخية التي تجمعت لدينا على مدى سنوات إهتمامنا بهذا الموضوع .

- ينظر الى : الخفاف ، عبد علي (١٩٩٨) واقع السكان في الوطن العربي – دار الشروق – عمان – الأردن – ص٦٩.

(**) في الرياضيات البسيطة فان ١٠٠ نسمة يزدادون بعد عام الى ١٠٠,٢ وعلى وفق حسابات الربح المركب فان عدد السكان سيكون بعد ١٠ أعوام كالآتي :

- ٣٠٠٦٠
- ٣٠١٢٠
- ٣٠١٨٠
- ٣٠٢٤٠
- ٣٠٣٠١
- ٣٠٣٦١
- ٣٠٤٢٢
- ٣٠٤٨٣
- ٣٠٥٤٤
- ٣٠٦٠٩

هذه بشكل عام الخصائص السكانية للمجتمعات في مراحلها المدنية الأولى تكاد تكون في حالة ثابتة لا تتغير، لافي نموها الطبيعي الناتج عن الولادات والوفيات ، ولا في تركيبها النوعي والعمري ، فيكاد الهرم السكاني لها ان يكون صورة ثابتة لا تتغير .. وهذا هو واقع السكان لمجتمع الريف في موضع بغداد قبل تأسيسها .

ملحق

- خريطة سوق بغداد ومنطقة المدائن قبل المنصور

- خريطة انهر بغداد الغربية

- جواد ، مصطفى وسوسة ، احمد (١٩٥٨) دليل خارطة بغداد المفصل / في خطط بغداد قديما وحديثا / مطبعة المجمع العلمي العراقي - ص٢٦

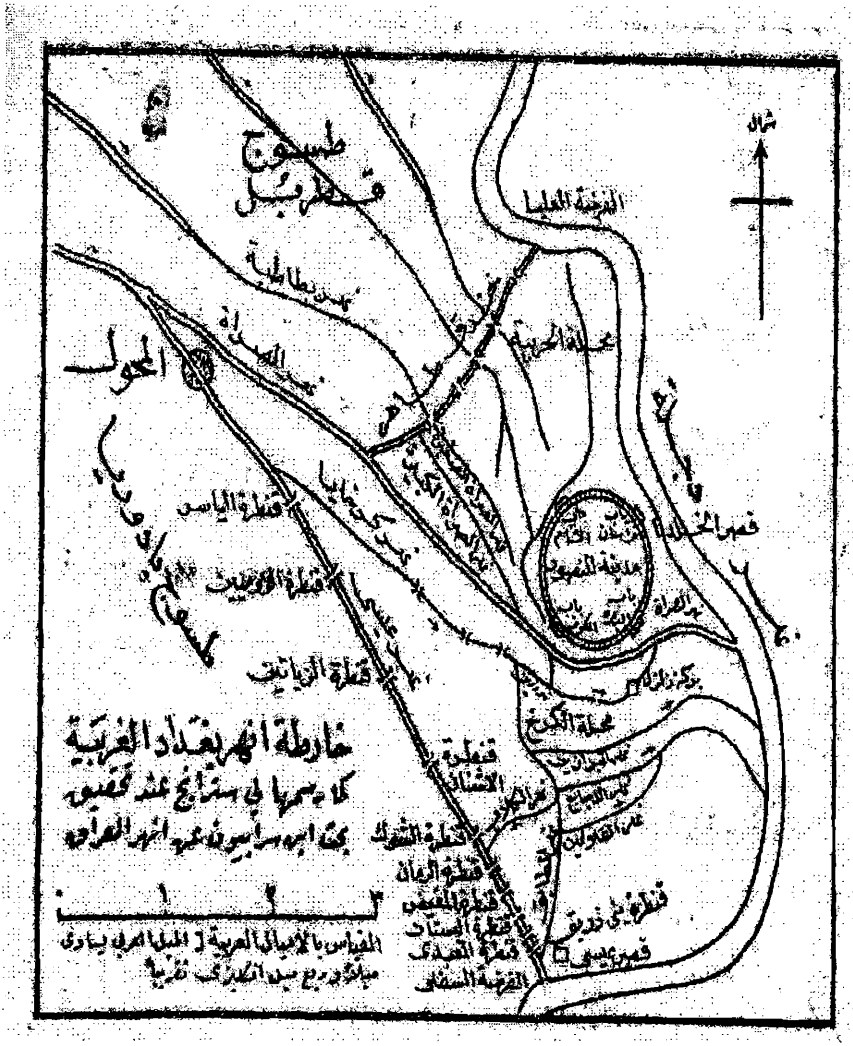

- جواد ، مصطفى وسوسة ، احمد (١٩٥٨) دليل خارطة بغداد المفصل / في خطط بغداد قديما وحديثا / مطبعة المجمع العلمي العراقي - ص٧٠

المصـــادر :

١- الأمم المتحدة / اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي اسيا / الاتحاد الدولي للدراسات العلمية للسكان (بلا تاريخ) المعجم الديموغرافي / متعدد اللغات / السفر العربي / الطبعه الثانية – بغداد .

٢- جواد ، مصطفى واحمد سوسة (١٩٥٨) دليل خارطة بغداد المفصل / في خطط بغداد قديما وحديثا – مطبعة المجمع العربي العلمي العراقي .

٣- الخفاف عبد علي (٢٠٠٧) جغرافية السكان : اسس عامة – الطبعة الثانية – دار الفكر للطباعة والنشر / عمان – الاردن .

٤- الخفاف ، عبد علي ورخصانه محمد اسماعيل وتماني علي سيف (٢٠٠٣) مكانة المرأة في الاقتصادات المعاشية / سقطرى حالة دراسية / الندوة الدولية العلمية الثانية حول الاستراتيجية التنموية لارخبيل سقطرى والجزر (١٤-١٦-١٢-٢٠٠٣) عدن/ اليمن .

٥- الخفاف ، عبد علي واخرون (٢٠٠٠) المبادئ العامة لجغرافية المدن – دار الكندي – اربد الاردن .

٦- الخفاف ، عبد علي (١٩٩٨) واقع السكان في الوطن العربي – دار الشروق – عمان الاردن .

٧- الخفاف ، عبد علي (١٩٨٢) خصائص جغرافية عامة في موقع وموضع مدينة السليمانية الكبرى / مجلة كلية التربية – جامعة البصرة / السنة ٤- العدد – ٧ .

٨- الطائي ، محمد حامد (١٩٦٩) تحديد اقسام سطح العراق – مجلة الجمعية الجغرافية العراقية / المجلد الخامس .

٩- الصياد ، محمد محمود (١٩٥١) سكان مديرية البحيرة / مجلة كلية الآداب – جامعة القاهرة – المجلد ١٣ – العدد ١ .

١٠- الحكيم ، حسن عيسى (٢٠٠٤) أنواء بغداد وأحوالها الطبيعية في العصر العباسي – الموسوعة الثقافية (١٥) دار الشؤون الثقافية – وزارة الثقافة .

١١- الوردي ، علي (٢٠٠٩) دراسة في طبيعة المجتمع العراقي – الطبعة الاولى – دار ومكتبة دجلة والفرات – بيروت .

12- Buringh ,p.(1960) Soil and Soil Conditions in Iraq (Ministry of Agriculture)- Baghdad

13- Clarke , J.I.(1969) Population Geography – pergammon – U.K.

14- Meteorological Service (1940) Rain fall in Iraq (1936-1939) – Occasional Publicaton . no.(3) Baghdad.

15- Ibid. no.(8).

16- Peterson , W.(1969) Population – 2nd Edition- The Macmillan- Co. London

17- Smailes , Arthur , E (1968) The Geography of towns – 5th Edition- Hutchinco University library London .

18- Trewartha , Glenn,T.(1969) Agography of Population: World Patterns – John Wiley and Sons Inc.N.Y.